دور النخب الفكرية في تجديد المشروع القومي العربي: من أزمة الخطاب إلى آليات التفعيل

طالبة دكتوراه: أماني أحمد محمد الجهراني
كلية الآداب - جامعة عدن

الملخص

يتناول هذا البحث دور النخب الفكرية في تجديد المشروع القومي العربي، منطلقًا من تشخيص أزمة النخب التقليدية التي انكفأت عن قضايا العصر، وابتعدت عن الواقع الاجتماعي والسياسي، وانشغلت بالخلافات النظرية على حساب الفعل الميداني. ويقترح البحث مهامًا جديدة للنخب، تبدأ بإعادة صياغة المفاهيم المركزية للفكر القومي كالأمة والهوية والمواطنة، بما يواكب تحولات الواقع ويؤسس لمشروع قومي جامع. كما يؤكد على ضرورة إنتاج خطاب قومي يتفاعل مع تحديات العولمة، والثورة الرقمية، وقيم حقوق الإنسان والديمقراطية. ويدعو إلى الانفتاح على التيارات الفكرية الأخرى لبناء مشروع قومي تعددي وحدوي. ويعرض البحث آليات تفعيل دور النخب، من خلال إنشاء مراكز بحث مستقلة، والانخراط في الإعلام الرقمي، والمساهمة في تطوير مناهج تعليمية تعزز الانتماء القومي الواعي. ويستند البحث إلى نماذج عربية رائدة، ويحلل التحديات البنيوية والتمويلية التي تواجه النخب في أداء دورها التاريخي.

الكلمات المفتاحية: النخب الفكرية، المشروع القومي العربي، الهوية، المواطنة، العولمة، التعددية، الخطاب القومي، الإعلام الرقمي، مراكز البحث.

Abstract

This study explores the role of intellectual elites in renewing the Arab national project, beginning with a diagnosis of the crisis facing traditional elites—marked by their retreat from contemporary issues, detachment from socio-political realities, and preoccupation with theoretical disputes at the expense of field engagement. The research proposes new tasks for these elites, starting with the redefinition of core concepts in nationalist thought—such as nation, identity, and citizenship—in ways that reflect current transformations and lay the foundation for an inclusive national project. It emphasizes the need to produce a nationalist discourse that engages with the challenges of globalization, digital transformation, and human rights. The study also advocates for openness to other intellectual currents to build a pluralistic and unifying national vision. It outlines mechanisms for activating the role of intellectuals, including the establishment of independent research centers, engagement with digital media, and contributions to educational curricula that foster conscious national belonging. The research draws on pioneering Arab experiences and critically examines the structural and financial challenges facing intellectual elites in fulfilling their historical mission.

Keywords:
Intellectual elites, Arab national project, identity, citizenship, globalization, pluralism, nationalist discourse, contemporary Arab thought, digital media, research centers.

المقدمة:

يشـكّل دور النخب الفكرية عنصـرًا محوريًا في بناء أي مشـروع قومي متجدد، إذ إن النخب – من مثقفين، أكاديميين، ومفكرين – تمتلك القدرة على بلورة الرؤية النظرية وصـياغة الإطار المفاهيمي الذي ينطلق منه هذا المشـروع، وفي ظل ما يعيشـه العالم العربي من أزمات فكرية وسـياسـية واجتماعية، تصـبح الحاجة إلى دور فاعل للنخبة أكثر إلحاحًا من أي وقت مضـى، من أجل تجاوز التشـتت، ومواجهة الخطابات الشعبوية، وطرح بدائل عقلانية قائمة على التحليل العميق والقراءة النقدية للواقع.

فالمشروع القومي اليوم لم يعد يحتاج فقط إلى الإرادة السياسية، بل إلى قيادة فكرية مسؤولة تُعيد بناء المفاهيم، وتربط بين الطموحات القومية والتحديات الواقعية بلغة جديدة تتجاوز الشـعارات، وتؤسـس لنهضـة شـاملة قائمة على العلم، والحوار، والانفتاح. قبل الحديث عن دور النخب الفكري في صـياغة مشروع قومي متجدد ينبغي علينا الحديث عن أزمة النخب العربية التقليدية.

أولًا: أزمة النخب العربية التقليدية:

تواجه النخب العربية التقليدية تحديات كبيرة في ظل التحولات الاجتماعية والسياسية التي شهدها العالم العربي خلال العقود الأخيرة. فهذه النخب، التي كانت في الماضي رائدة في تشكيل الفكر القومي وتوجيه حركات التحرر، أصبحت اليوم في مأزق حقيقي. فبينما كانت تنطلق من مرجعيات فكرية وثقافية قوية، تَبين أنها لم تستطع التكيف مع التحولات السريعة التي طرأت على المجتمعات العربية، سواء من حيث التغيرات السياسية أو الاقتصادية أو حتى الاجتماعية[1].

تكمن أزمة النخب العربية التقليدية في تراجع قدرتها على تجديد الفكر القومي لمواكبة التحديات المعاصرة، وفشلها في تجاوز المفاهيم القديمة التي أصبحت لا تتماشى مع واقع العالم العربي اليوم. وبدلاً من تقديم حلول منطقية وواقعية، فإن بعض هذه النخب استمرت في التمسك بشعارات ومرجعيات غير قادرة على تلبية احتياجات الأجيال الجديدة من الناحية الفكرية والسياسية [2].

(1) محمد حسن عبدالشيخ: القومية العربية وعصر العولمة، مجلة حولية كلية الآداب- جامعة عدن، العدد( ) 2016، ص23
(2) مهدي عامل: مقدمات نظرية لدراسة أثر الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الوطني، دار الفارابي، بيروت، ط7، 1990، ص 112

1.انكفاء النخبة القومية عن قضايا العصر

إن انكفاء النخبة القومية العربية عن قضايا العصر يمكن فهمه في سياق التحولات العميقة التي شهدها العالم العربي والعالمي على حد سواء. فبينما كانت النخب القومية في النصف الأول من القرن العشرين تُعد من القوى الفاعلة في صياغة سياسات الاستقلال والتحرر، شهدت بعد ذلك انكفاءً ملحوظًا عن مواجهة التحديات الراهنة التي فرضتها التغيرات السياسية والاجتماعية. إذ بدلاً من التفاعل مع الواقع الجديد، سواء على صعيد التغيرات التكنولوجية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، تمسكت هذه النخب بخطابات تقليدية كانت قد حققت بعض النجاح في الماضي، لكنها باتت عاجزة عن تقديم حلول واقعية لمشكلات العصر.

كما يُشير الباحث **بلقزيز** في كتابه "الدولة والمجتمع في الفكر العربي المعاصر" إلى أن "الخطاب القومي الكلاسيكي اتسم بالجمود والتكرار، مما أدى إلى فقدان قدرته على التفاعل مع المتغيرات الاجتماعية والسياسية"[1]. وهذا الجمود الفكري هو الذي حال دون تطوير الفكر القومي ليتماشى مع التحديات الحديثة، بل وأكثر من ذلك، فقد تراكمت الانقسامات الداخلية داخل الحركات القومية بسبب عدم القدرة على تجديد الفكر القومي في ظل التغيرات الراهنة.

ونتيجة لهذا الانكفاء، انخفض تأثير النخب القومية في مجالات الثقافة والسياسة، حيث أصبحت أغلب الأفكار التي قدمتها هذه النخب عاطلة عن الإنتاج الفكري الحيوي أو عن تقديم حلول للقضايا الأكثر إلحاحًا في مجتمعاتها مثل التنمية المستدامة، التعددية الثقافية، الديمقراطية، والعدالة الاجتماعية. في ظل هذا الوضع، يبرز السؤال الأهم: هل يمكن للنخب القومية أن تواكب هذه التغيرات أم أن علينا البحث عن أشكال جديدة من الفكر القومي الذي يكون أكثر توافقًا مع تطلعات العصر؟

2.الاغتراب عن الواقع الاجتماعي والسياسي

أدت النخب القومية، في كثير من الأحيان، إلى خلق فجوة متزايدة بينها وبين مجتمعاتها، نتيجة تمسكها بالأطر الفكرية الصلبة والتقليدية التي نشأت في ظروف تاريخية مختلفة عن التحديات التي يعيشها العالم العربي اليوم. فقد استمر بعض المفكرين القوميين في اجترار شعارات كبرى تتعلق بالوحدة والتحرر، دون مراجعة نقدية للأدوات التي لم تعد صالحة لفهم تعقيدات الواقع الراهن.

([1]) بلقزيز، عبد الإله: الدولة والمجتمع في الوطن العربي: تحولات الواقع وإشكاليات النظر، بيروت - مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2010.ص 45

إن الجمود الأيديولوجي للنخب، ورفضها التجديد، ساهم في عزلها عن الجمهور، خصوصًا في ظل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية الهائلة، وظهور أجيال جديدة تتفاعل مع قضايا مثل الحوكمة، العدالة الاجتماعية، التحول الرقمي، والبيئة، أكثر من تفاعلها مع الخطاب القومي التقليدي. هذا ما أدى إلى حالة من الاغتراب الفكري والسياسي، جعلت هذه النخب عاجزة عن أداء دورها التوجيهي أو التأثيري.

ويُشير الباحث **حمودي** إلى هذه الإشكالية بدقة حين يقول:" هذه الثنائيات أدت إلى تحجيم الفكر العربي وأعاقت تطوره، حيث تم تصنيف الآراء المختلفة على أنها خيانة أو خروج عن القومية"[(1)].

وهذا يعكس أزمة النخب القومية في التعامل مع التعدد الفكري، إذ تحولت إلى حارسة للعقيدة القومية بدلاً من أن تكون محفزة على الإبداع والتجديد.

كما يرى المفكر **بلقزيز** أن النخبة القومية "لم تنجح في إعادة تعريف القومية بما ينسجم مع تحولات الدولة والمجتمع، وبقيت أسيرة مفاهيم تعود إلى منتصف القرن العشرين، وهذا ما تسبب، بحسبه، في "فقدان خطابها للشرعية الاجتماعية، وبقائها في الهامش الفكري والثقافي للشارع العربي"[(2)]. ويذهب **جورج طرابيشي*** إلى نقد أشد، حيث يعتبر أن بعض التيارات القومية تحولت إلى "دين دنيوي" يتعامل مع أفكاره كـ"حقائق مطلقة لا يجوز المساس بها"، ما أدى إلى "انفصام بينها وبين الواقع التاريخي [(3)]."ويُحذر طرابيشي من أن هذا النمط من الفكر يهدد بتكرار الفشل ذاته الذي سقطت فيه التجارب القومية السابقة.

في هذا السياق، يمكن القول إن اغتراب النخب القومية عن الواقع ليس فقط نتيجة لتقادم الأدوات الفكرية، بل أيضًا بسبب غياب التفاعل مع الحركات الاجتماعية الجديدة، وعدم الاستفادة من أدوات التحليل الحديثة في فهم المجتمع العربي وتحولاته. لقد بقيت كثير من التحليلات القومية حبيسة سرديات الماضي، غير قادرة على فهم التحديات المركبة لعصر العولمة، وصعود الهويات الفرعية، والأزمات البيئية والاقتصادية.

([1]) حمودي، أحمد جميل، تفكيك الثنائيات الفكرية العربية: الأزمة والمشاريع، الحوار المتمدن، 2008.ص 7.

([2]) بلقزيز: من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث، 2000، ص 84

* جورج طرابيشي (1939م - 16 مارس 2016م)، مفكر وكاتب وناقد ومترجم عربي سوري. تخصص في نقد الأدب وشرب من ينابيع الفلسفة الوجودية والتحليل النفسي، وترجم عشرات المؤلفات، ثم خصص ربع قرن من حياته لنقد المشروع الفكري لمحمد عابد الجابري موجها له انتقادات لاذعة.

([3]) جورج طرابيشي: هرطقات، عن الديموقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة .ج2، دار الساقي، بيروت، 2010.ص 124

وعليه، فإن تجاوز هذا الاغتراب يتطلب[1]:

- مراجعة نقدية للتراث القومي بمنهج علمي لا يُقدّس الأفكار القديمة.
- تبني خطاب عقلاني منفتح يتفاعل مع قضايا الإنسان العربي اليومية.
- إعادة ربط الفكر القومي بالمجتمع المدني ومطالب الشارع.
- الانفتاح على الحقول المعرفية الأخرى كعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، والاقتصاد السياسي.

إن الاعتراف بأزمة الاغتراب يمثل الخطوة الأولى نحو استعادة دور النخب القومية كمحرك اجتماعي وفكري، قادر على التأثير في المجال العام وصياغة مشروع نهضوي واقعي ومتجدد.

3.الانشغال بالخلافات النظرية بدلًا من العمل الميداني

النخب القومية العربية، منذ نشوء الحركات القومية في القرن العشرين، كانت غالبًا ما تنشغل بالخلافات النظرية والمناقشات الأيديولوجية حول مفاهيم مثل القومية، الهوية، وحقوق الإنسان، بدلاً من تركيز جهودها على العمل الميداني الفعّال. هذا الانشغال بالجدالات الفكرية لم يُترجم إلى مشاريع عملية يمكن أن تُساهم في تحسين الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في الدول العربية. وبدلاً من أن تُركّز هذه النخب على تحقيق التنمية المستدامة وبناء المجتمع المدني من خلال المشاركة الفعّالة، كانت تدور في دائرة من النقاشات التي غالبًا ما كانت بعيدة عن هموم المواطن العربي[2].

هذا التوجه الفكري الانعزالي عن العمل الميداني لم يكن دون تبعات سلبية، فقد ساهم في تراجع دور هذه النخب في تشكيل سياسات فعّالة تستجيب للاحتياجات الحقيقية للمجتمعات العربية. هذا الوضع أدى إلى ضعف تأثير الحركات القومية في الساحة السياسية، فبدلاً من أن تصبح قوة محورية تقود التغيير الاجتماعي والسياسي، تحوّلت إلى مجرد فكر نظري بعيد عن الواقع[3].

وتؤكد التقارير الحديثة، مثل التقرير الصادر عن مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات في 2025، أن "تحديث الفكر القومي العربي وتضمين مفاهيم مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان والتنمية المستدامة يزيد من فرص نجاحه كمشروع نهضوي" [4]. هذه الدعوة تشير إلى ضرورة تطور الفكر القومي ليتماشى مع التحديات المعاصرة ويتبنى مفاهيم تتماشى مع متطلبات العصر، مثل حقوق الإنسان والتنمية المستدامة، التي أصبحت أساسية لتحقيق التقدم في أي مجتمع.

([1]) بلقزيز: الدولة والمجتمع في الفكر العربي المعاصر، ص 134

([2]) عزمي بشارة: الهوية والمواطنة في الدولة الحديثة .بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012.

([3]) محمد حسن عبدالشيخ: القومية العربية وعصر العولمة. مرجع سبق ذكره.

([4]) مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات. "إمكانية إحياء الفكر القومي العربي كمشروع نهضوي". 2025. ص 15.

وفي ذلك، يمكن ملاحظة أن التحديث الفكري للقومية العربية لا يقتصر فقط على مراجعة الأفكار والمفاهيم، بل يتطلب أيضًا تحولًا حقيقيًا في النهج، بحيث يُعزز هذا التحديث من التفاعل مع الواقع العربي من خلال العمل الميداني الفعّال. وهذا يتطلب من النخب القومية أن تبتعد عن الانشغال بالانقسامات الفكرية والأيديولوجية التي أدّت إلى تشتيت الجهود، وتوجه نحو مشاريع عملية تسهم في تحسين الوضع المعيشي والسياسي في الدول العربية.

في النهاية، تبرز أهمية أن يكون الفكر القومي العربي مرتبطًا بالواقع المعاش، وأن يُركّز على العمل التنموي والاجتماعي الذي يخدم المجتمعات، بدلاً من الانشغال بمشاريع نظرية قد تبقى في إطار الفكر دون أن تثمر في الحياة الواقعية.

ثانياً: المهام الجديدة للنخب في تجديد المشروع القومي

في ظل التحديات الراهنة التي تواجه العالم العربي، أصبح من الضروري أن تقوم النخب القومية بدور محوري في تجديد المشروع القومي العربي؛ هذا التجديد لا يعني فقط تحديث الأفكار والمفاهيم، بل يتطلب أيضًا إعادة النظر في المهام التي يجب أن تضطلع بها هذه النخب لتلبية احتياجات العصر ومتغيراته. فالواقع المعاش في العالم العربي اليوم يتطلب من النخب أن تلعب دورًا أكثر فاعلية في تعزيز الوحدة العربية، وفتح آفاق جديدة للتنمية المستدامة، والاهتمام بقضايا حقوق الإنسان والديمقراطية، بما يتماشى مع تطلعات الشعوب العربية[1].

يُعد تجديد المشروع القومي خطوة أساسية لمواكبة التغيرات العالمية والمحلية، التي باتت تتطلب حلولًا مبتكرة لمشاكل مزمنة كالتحديات الاقتصادية، السياسية والاجتماعية. ولذا، فإن النخب القومية أمام مهمة جديدة تتمثل في تعزيز ارتباط الفكر القومي بالقضايا الحياتية اليومية للمواطن العربي، والسعي لبناء مجتمع أكثر عدالة وازدهارًا[2].

1.إعادة صياغة المفاهيم المركزية للفكر القومي (الأمة، الهوية، المواطنة):

تُعد إعادة صياغة المفاهيم المركزية للفكر القومي العربي مثل "الأمة"، "الهوية"، و"المواطنة" أحد أبرز التحديات التي تواجه النخب الفكرية العربية في الوقت الراهن. ذلك أن هذه المفاهيم التي كانت ذات طابع ثابت وتقليدي في العقود الماضية باتت بحاجة إلى تحديث، كي تتماشى مع التحولات الاجتماعية والسياسية الكبيرة التي تشهدها المنطقة العربية اليوم.

(1) إدوارد سعيد: المثقف والسلطة، ترجمة/ محمد عناني، القاهرة- رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2006، ص 35
(2) محمد حسن عبدالشيخ: القومية العربية وعصر العولمة. ص23

(أ) الأمة – من المفهوم العرقي إلى الكيان السياسي والثقافي:

مفهوم "الأمة" في الفكر القومي العربي كان يُختزل في البُعد العرقي أو الإثني، حيث ساد الاعتقاد بأن الأمة تُبنى على وحدة اللغة والعرق. إلا أن هذا الفهم أصبح قاصرًا أمام واقع عربي متعدد دينيًا وثقافيًا، ما يدفع إلى ضرورة تبني مفهوم جديد للأمة بوصفها "كيانًا سياسيًا وثقافيًا" يقوم على الانتماء للمصير المشترك، وليس فقط على الأسس الإثنية أو اللغوية[1].

كما تناول **نصار** موضوع الأمة بإظهار التنوع والتعدد في طرائق تمثل العرب المحدثين لمعنى الأمة، انطلاقاً من اعتبارات دينية أو لغوية أو جغرافية أو سياسية، وهو ما يعكس تعقيد الواقع العربي وتعدد روافده الفكرية والثقافي، يمكننا عرضها باختصار على النحو الآتي[2]:

التصورات الدينية للأمة: يرى **نا صيف نصار** أن هذا التصور يستند إلى الرابطة الدينية باعتبارها المحدد الأساسي لهوية الأمة، ويستحضر في هذا السياق التقاليد الإسلامية التي تنظر إلى الأمة الإسلامية ككيان جامع للمؤمنين، متجاوزٍ للحدود القومية أو الإقليمية. غير أن **نصار** لا يكتفي بعرض هذا التصور، بل يحلله بوصفه تصوراً أيديولوجياً تأسس في ظل ظروف تاريخية معينة، ويشير إلى اختزاله لمفهوم الأمة في بعدها العقدي دون مراعاة التعدد الاجتماعي والثقافي داخل المجتمعات الإسلامية[3].

التصورات اللغوية للأمة: يرتبط هذا التصور بفكرة أن اللغة هي العامل الجوهري الذي يوحّد الأمة ويمنحها شخصيتها. ويقف نصار عند التأثير الكبير لهذا التصور في الفكر القومي العربي، وبخاصة لدى المفكرين البعثيين والقوميين الذين اعتبروا اللغة العربية عنصراً حاسماً في تعريف الأمة العربية. لكنه في الوقت نفسه ينتقد الطابع الماهوي لهذا التصور، الذي لا يلتفت إلى اختلاف اللهجات، ولا إلى العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تشارك في تشكيل الوعي الجمعي [4].

التصورات الإقليمية للأمة: يعالج نصار هذه التصورات بوصفها محاولات لتعريف الأمة انطلاقاً من المعطى الجغرافي – الإقليمي، بحيث تتشكل الأمة ضمن حدود الوطن أو القُطر. ويشير إلى أن هذا النمط من التفكير شاع في عدد من الدول العربية بعد الاستقلال، تحت تأثير بناء الدولة القُطرية، لكنه

(1) فازيو، نبيل: مفهوم الأمة عند ناصيف نصار، مجلة المستقبل العربي العدد(450) في آب/أغسطس 2016

(2) ناصيف نصار، تصورات الأمة المعاصرة: دراسة تحليلية لمفاهيم الأمة في الفكر العربي الحديث والمعاصر، ط 2 (بيروت: دار أمواج للطباعة والنشر، 1994)، ص5.

(3) ناصيف نصار: مفهوم الأمة بين الدين والتاريخ: دراسة في مدلول الأمة في التراث العربي الإسلامي، ط 5 ، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2003، ص 7.

(4) فازيو، نبيل: مفهوم الأمة عند ناصيف نصار، مجلة المستقبل العربي العدد 450 في آب/أغسطس 2016

يرى في هذه التصورات ضرباً من التجزيء للوعي القومي، لأنها تحصر الأمة في نطاقات ضيقة وتتناقض مع تصورات الوحدة القومية[1].

التصورات السياسية للأمة: يركز هذا التصور على الفكرة القائلة بأن الأمة تُبنى على أساس إرادة جماعية سياسية، أي على قاعدة التعاقد بين أفرادها على مشروع مشترك. ويجد نصار في هذا التصور صدى للفكر الليبرالي الحديث، حيث تلعب المواطنة والتمثيل السياسي والمؤسسات دوراً مركزياً في بناء الأمة. غير أن **نصار** يشير إلى أن هذا التصور، وإن بدا عقلانياً، إلا أنه لا يستطيع أن يتجاهل الجوانب الرمزية والوجدانية والثقافية التي تلعب دوراً في تماسك الأمة[2].

من خلال هذا التصنيف الرباعي، يتبيّن أن ناصيف نصار لا يتعامل مع مفهوم الأمة كمجرد معطى نظري أو مفهوم مجرد، بل يشتغل عليه بوصفه مدخلاً لفهم طبيعة الوعي العربي الحديث، ولمقاربة العلاقة بين التراث والحداثة، بين الأيديولوجيا والواقع، وبين الفكر والممارسة.

يتضح من خلال تحليلنا لمقاربة ناصيف نصار لمفهوم الأمة أنه فيلسوف يعي تماماً الطابع التاريخي والأيديولوجي لهذا المفهوم، ويتعامل معه بكثير من الحذر النقدي والتحليل المنهجي. وقد نجح في تفكيك التصورات المختلفة التي أنتجها الفكر العربي الحديث والمعاصر حول الأمة، كاشفاً عن مواطن القوة والضعف فيها، وعن صلاتها بالتحديات السياسية والاجتماعية التي عرفها العالم العربي منذ صدمة الحداثة. لذلك يمكن القول إن عمل نصار على مفهوم الأمة لا ينفصل عن مشروعه الفكري الأشمل الذي يدعو فيه إلى «نهضة ثانية» تكون الفلسفة في قلبها، ويُعاد فيها التفكير في مفاهيمنا الكبرى مثل الأمة، الهوية، الحداثة، والنهضة.

(ب) الهوية – من الانغلاق إلى التعددية والانفتاح:

الهوية لم تعد تُفهم على نحو أحادي يقوم على اللغة أو الدين فقط، بل باتت تُطرح كهوية مركبة ومتعددة الأبعاد. وقد دعا **شعبان** إلى:" تجاوز المفاهيم التقليدية للهوية القومية التي تركز على العرق واللغة فقط، والانفتاح على مفهوم الهوية المتعددة والمتنوعة"[3]. ويؤكد أيضًا أن القيم الحديثة مثل الديمقراطية وحدها "غير جديرة ببناء هوية موحدة"، ما لم تستند إلى: القيم التاريخية والثقافية المشتركة والذاكرة الجماعية العابرة للأيديولوجيات والطوائف والقوميات"[4].

([1]) نفس المرجع والصفحة

([2]) نفس المرجع والصفحة

([3]) شعبان، عبد الحسين: الهوية والمواطنة: البدائل الملتبسة والحداثة المتعثرة، بيروت - مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2017.ص 24.

([4]) نفس المرجع، ص 35.

وهذا الطرح يتلاقى مع ما أكده مركز دراسات الوحدة العربية في أعماله حول بناء هوية عربية مرنة[1].

(ج) المواطنة – ركيزة مشروع قومي جامع

تعني المواطنة المساواة الكاملة بين المواطنين بصرف النظر عن الانتماءات الدينية أو العرقية، وهي شرط لبناء دولة وطنية حديثة تحتضن الجميع. وكما ذكر **شعبان،** فإن الربط بين الهوية والمواطنة ضروري لتشكيل هوية جامعة لا تقصي أحدًا[2].

في السياق نفسه، يشير **العروي** إلى أن الفكر القومي العربي "لن يتمكن من مواكبة تطورات العصر إلا إذا تخلص من مفاهيمه الجامدة، واعتمد مقاربات حديثة تؤمن بالانفتاح والتعددية"[3].

ويؤكد الدكتور **محمد حسن:** أن الهوية العربية لا يمكن أن تبقى محصورة في دائرة مغلقة، بل يجب أن تتسع لتشمل مختلف التوجهات الفكرية والسياسية، وأن تستوعب التنوع الثقافي الذي يوجد في الدول العربية"[4].

إن تحديث المفاهيم المركزية للفكر القومي – الأمة، الهوية، المواطنة – يمثل الخطوة الأولى نحو تجديد المشروع القومي العربي. ولا يمكن لهذا المشروع أن يحقق نهوضًا حقيقيًا ما لم يُدمج قيم الحداثة، الديمقراطية، والعدالة مع الخصوصيات التاريخية والثقافية للمجتمعات العربية.

2.إنتاج خطاب يتفاعل مع التحديات المعاصرة (العولمة، التكنولوجيا، حقوق الإنسان):

تشهد المجتمعات العربية اليوم تحولات عميقة ناتجة عن العولمة والثورة الرقمية وتنامي ثقافة حقوق الإنسان، وهي تحولات تتطلب من النخب الفكرية القومية تطوير خطاب جديد يتجاوز الطروحات التقليدية ويتفاعل بذكاء ومرونة مع هذه التحديات، دون التفريط بالخصوصيات الحضارية والثقافية للعالم العربي[5].

(أ) العولمة وتحدي الهوية:

تُعد العولمة من أبرز التحديات التي فرضت نفسها على الفكر القومي، إذ إنها تُهدد بإضعاف الخصوصيات الثقافية وذوبان الهويات في نمط استهلاكي عالمي موحّد. وهنا، لا ينبغي أن يكون

(1) شعبان، عبد الحسين: الهوية والمواطنة، ص29
(2) نفس المرجع والصفحة.
(3) عبدالله العروي: مفهوم الدولة، ص 74
(4) محمد حسن عبدالشيخ: القومية العربية وعصر العولمة، ص32
(5) محمد حسن عبدالشيخ: القومية العربية وعصر العولمة، ص33

الخطاب القومي في موقع الرفض الكلي للعولمة، بل من المفترض أن يتعامل معها تعاملاً نقديًا عقلانيًا. ويشير تقرير مركز الفكر الاستراتيجي إلى أن:" تحديث الفكر القومي العربي وتضمين مفاهيم مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان والتنمية المستدامة يزيد من فرص نجاحه كمشروع نهضوي"[1]. كما يؤكد التقرير أن "الانخراط في العولمة ينبغي ألا يكون على حساب الاستقلالية الثقافية والسياسية للأمة، بل يجب أن يُبنى على وعي نقدي يعزز مناعة الذات الحضارية"[2]. يتعارض هذا الطرح مع رأي المفكر **الجابري** الذي دعا إلى بناء "عقل عربي حديث" يدمج بين الأصالة والمعاصرة، مؤكدًا أن "العولمة ليست قدَرًا لا يُرد، بل هي مجال للاجتهاد والاختيار"[3].

(ب) الثورة التكنولوجية والتحول الرقمي:

لم تعد الثورة الرقمية مسألة تقنية بحتة، بل أصبحت قوة مؤثرة في تشكيل وعي الأفراد وتوجيه الرأي العام، وقد أدى توسع وسائل الإعلام الجديدة إلى بروز ثقافات فرعية وتيارات فكرية من خارج النخب التقليدية. من هنا، تبرز ضرورة أن تستوعب النخب الفكرية القومية أدوات التكنولوجيا الحديثة في بناء خطاب تواصلي متجدد وفاعل. ويرى المفكر **بشارة** أن:" المجال العام العربي اليوم لم يعد كما كان، بل أصبح رقميًا، مفتوحًا، ومتعدد المصادر، ولا يمكن للخطاب القومي أن يؤثر ما لم يعِ هذا التغيير ويتكيف معه"[4]. ويشير كذلك إلى أن الخطاب القومي مطالب بـ"الاستفادة من وسائل الإعلام الرقمية ليس فقط لنشر الأفكار، بل لبناء وعي جماهيري مشترك يتجاوز الجغرافيا والانقسامات الأيديولوجية"[5].

(ج) حقوق الإنسان والديمقراطية:

تمثل قضايا حقوق الإنسان والمشاركة السياسية ومفاهيم العدالة والكرامة عناصر أساسية في أي مشروع قومي معاصر. لقد بات من الضروري أن يُعيد الخطاب القومي بناء تصوّراته حول الدولة والمجتمع والعلاقة بين السلطة والمواطن، بما ينسجم مع المبادئ العالمية لحقوق الإنسان، من دون الوقوع في التبعية أو التغريب.

(1) مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات .الفكر القومي العربي في القرن الحادي والعشرين، الرياض: المركز، 2025، ص 15
(2) مركز الفكر الاستراتيجي، نفس المصدر، ص 17.
(3) محمد عابد الجابري: الهوية والعولمة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006، ص 42.
(4) عزمي بشارة: في المسألة العربية، 2012، ص 201
(5) نفس المصدر، ص 204.

في هذا الصدد، يشدد المفكر العراقي **شعبان** على أن:" الخطاب القومي لن يكون مشروعًا نهضويًا حقيقيًا ما لم يحتضن الديمقراطية كقيمة لا كتكتيك، ويعيد النظر في علاقته بحقوق الإنسان باعتبارها أساس المواطنة الكاملة"[1]. كذلك، يحذر **غليون** من اختزال المشروع القومي في الشعارات الأيديولوجية، ويرى أن "القومية العربية لا يمكن أن تنهض ما لم تكن مشروطة بمشروع ديمقراطي يعيد الاعتبار للفرد وحقوقه"[2].

إن نجاح الفكر القومي العربي في العصر الراهن مرهون بقدرته على إنتاج خطاب منفتح، تفاعلي، وواقعي، يتجاوب مع تحديات العولمة دون الانسلاخ، ومع التكنولوجيا دون انغلاق، ومع قيم حقوق الإنسان دون تعارض. خطاب كهذا يجب أن يُعيد صياغة مفرداته ومفاهيمه الأساسية ليُصبح قادرًا على مواكبة التحولات العميقة التي يعيشها العالم العربي، وفي الوقت ذاته، يعيد الثقة بدوره كمشروع تحرري نهضوي جامع.

3.الانفتاح على التيارات الفكرية الأخرى لبناء مشروع قومي تعددي

إنّ بناء مشروع قومي عربي متجدد لا يمكن أن ينجح في ظل الانغلاق الفكري أو احتكار الحقيقة من قبل تيار واحد. لقد أظهرت تجارب العقود الماضية أن الانقسام الأيديولوجي بين القوميين، الإسلاميين، الليبراليين، واليساريين أدى إلى تآكل المشروع النهضوي العربي، وفشل كثير من محاولات الوحدة أو التغيير.

من هنا، تبرز أهمية انفتاح النخب القومية على التيارات الفكرية الأخرى عبر حوار عقلاني وهادئ، من أجل بلورة رؤية شاملة تتجاوز الانقسامات، وتؤسس لمشروع قومي تعددي جامع.

ويشير تقرير صادر عن مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات إلى أن: "إحياء المشروع القومي العربي لا يزال ممكنًا، لكنه يتطلب إعادة صياغة أهدافه وآلياته بما يواكب المتغيرات الإقليمية والدولية"[3]. وهو ما يتطلب تجاوز النظرة الصراعية التي هيمنت على العلاقات بين التيارات الفكرية العربية، واعتماد مقاربة تشاركية تضع مصلحة الأمة فوق الاعتبارات الحزبية أو العقائدية.

(1) عبدالحسين شعبان: الهوية والمواطنة، مرجع سبق ذكره، ص 66.
(2) برهان غليون: بيان من أجل الديمقراطية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997، ص 181-186
(3) مركز الفكر الاستراتيجي، 2025، ص 30

(أ) الانفتاح كضرورة فكرية وتاريخية

يرى المفكر **الجابري** أن أحد أسباب إخفاق المشروع القومي في القرن العشرين هو "الانغلاق على الذات الأيديولوجية ورفض المختلف، مما أدى إلى تعميق الشرخ داخل النخب والمجتمعات على حد سواء"[1]. ويرى أن الانفتاح على التيارات الأخرى ليس تهديدًا للهوية القومية، بل هو شرط لإغنائها وتجديدها في ضوء المتغيرات الحديثة.

وفي السياق ذاته، يؤكد المفكر السوري **غليون** أن المشروع القومي لا يجب أن يكون مشروعًا إقصائيًا، بل مشروعًا مفتوحًا على "كل من يتبنى فكرة التحرر والكرامة والعدالة الاجتماعية، سواء أتى من خلفية دينية أو علمانية أو اشتراكية"[2]. ويشير أيضًا إلى أن الصراع الفكري داخل الصف الوطني أضاع عقودًا من الزمن كان بالإمكان توجيهها نحو بناء الدولة الحديثة.

(ب) التعددية الفكرية كأساس للوحدة

إن التعددية لا تتناقض مع القومية، بل تشكل أحد شروط نضجها، فالمجتمعات العربية بطبيعتها متعددة ثقافيًا ودينيًا ومذهبيًا، وبالتالي لا يمكن لمشروع قومي معاصر أن ينجح دون أن يكون تعدديًا ومرنًا. ويؤكد تقرير مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات في هذا الإطار: أهمية بناء المجتمع المدني، بعيدًا عن لعبة الصراع على السلطة، باعتبار ذلك هو السبيل إلى تعميق الاستقرار الاجتماعي وتطويره على أسس ديمقراطية وحدوية عقلانية هادئة" [3]. هذا يؤكد الحاجة إلى تجاوز "النزعة التسلطية" التي ميزت الخطاب القومي التقليدي، واستبدالها بمنهج تشاركي يتيح لجميع التيارات الوطنية الإسهام في تشكيل الرؤية المستقبلية.

ويُعد المفكر **رضوان السيد*** من أبرز الداعين إلى هذا التحول، حيث يرى أن: "لا خلاص للأمة العربية إلا إذا انتقل الفكر السياسي من النزاع العقائدي إلى بناء المجال العام، حيث تُمارَس السياسة كفن للعيش المشترك، لا كوسيلة للهيمنة والاستبعاد"[4].

([1]) محمد عابد الجابري: التراث والحداثة، ص 128

([2]) برهان غليون: اغتيال العقل، ص 93

([3]) مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، الفكر القومي العربي في القرن الحادي والعشرين، الرياض: المركز، 2025، ص 22

* رضوان نايف السيد(1949) كاتب ومفكر لبناني، ولد في ترشيش، جبل لبنان سنة 1949م، وحصل على الإجازة العالية من كلية أصول الدين بجامعة الازهر سنة 1970م، حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة توبنغن بألمانيا سنة 1977م، وأستاذ للدراسات الإسلامية بالجامعة اللبنانية منذ سنة 1978م، ورئيس تحرير مجلة الاجتهاد الفصلية مع فضل شلق، منذ سنة 1988م، والتي توقفت مؤخراً

([4]) رضوان السيد: سياسات الإسلام المعاصر- مراجعات ومتابعات، دار الكتاب العربي، 1997، ص 154

(ج) مشروع قومي بنَفَس وحدوي تنموي

إضافة إلى الحوار الداخلي، يشير التقرير إلى ضرورة تبنّي رؤية استراتيجية جديدة تقوم على: "التنمية الشاملة، وتمكين المجتمعات العربية، وتعزيز التعاون العربي في مختلف المجالات، بما يسهم في تحقيق نهضة قومية عربية متكاملة ومستدامة"[1]. أي أن المشروع القومي لم يعد مجرد خطاب أيديولوجي، بل يجب أن يكون برنامجًا عمليًا تنمويًا يركز على رفع مستوى التعليم، بناء اقتصاد قوي، وتعزيز المؤسسات الديمقراطية، وهي قضايا محل إجماع بين مختلف التيارات الفكرية.

ويرى **بلقزيز** أن "تجديد المشروع القومي مشروط بتجاوز المقولات الصراعية القديمة، والانتقال إلى صياغة أجندة وطنية–عربية جامعة، تقبل الاختلاف وتنفتح على طاقات المجتمع"[2].

إن انفتاح النخب القومية على التيارات الفكرية الأخرى لم يعد ترفًا فكريًا، بل ضرورة استراتيجية لبناء مشروع قومي تعددي جامع. مشروع يضع في أولوياته الكرامة الإنسانية، العدالة، التنمية، والسيادة، دون أن ينغلق في قوالب أيديولوجية جامدة. ولتحقيق ذلك، لا بد من تعزيز ثقافة الحوار، بناء المجتمع المدني، وتجاوز الصراع حول السلطة، كما أكدت التقارير والدراسات المعاصرة. هذا الانفتاح، إذا ما تحقق، سيساهم في استعادة دور الفكر القومي كمحرك للنهضة، لا كأداة للإقصاء.

ثالثاً: آليات تفعيل دور النخب الفكرية

لم يعد دور النخب الفكرية مقتصرًا على التنظير الأكاديمي أو إنتاج الخطابات التقليدية، بل أصبح من الضروري تفعيل هذا الدور ليواكب التحديات السياسية والثقافية والاجتماعية المتسارعة التي تشهدها المجتمعات العربية. ويتطلب هذا التفعيل تبني آليات عملية واستراتيجية تُسهم في تعزيز حضور النخبة في المجال العام، وتحقيق تأثير فعلي في توجيه الوعي الجماعي، وصياغة رؤى تنموية ونهضوية شاملة.

1.إنشاء مراكز بحث مستقلة ومؤثرة

إن إنشاء مراكز تفكير مستقلة يُعد من أبرز الآليات التي يمكن أن تُسهم في تفعيل دور النخب الفكرية العربية في توجيه الرأي العام وصياغة السياسات العامة. إذ أن هذه المراكز تشكل حلقة وصل بين المعرفة والخبرة من جهة، وصناع القرار من جهة أخرى، وهو ما يمنحها وظيفة استراتيجية في بناء سياسات قائمة على أسس علمية وتحليلية بدلًا من الارتجال أو التبعية السياسية.

([1]) مركز الفكر الاستراتيجي، 2025، ص 30

([2]) بلقزيز، العروبة والديمقراطية: إشكاليات العلاقة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2001.، ص 61

ويشير موقع **marocdroit** في أحد مقالاته إلى أن: "مراكز التفكير تُعد بمثابة العقل التحليلي للمجتمع، وهي تلعب دورًا محوريًا في تقديم بدائل سياسية واقتصادية واجتماعية قابلة للتنفيذ، شريطة أن تتمتع بالاستقلالية المؤسسية والفكرية. [1].

وتؤكد الدراسات الحديثة في مجال بناء مراكز الفكر على أن هذه المؤسسات لا تقتصر على إنتاج الأبحاث فقط، بل تمتد وظيفتها إلى التأثير في السياسات العامة، من خلال تقديم توصيات مباشرة لصناع القرار، وتنظيم الحوارات السياسية، وتحفيز المشاركة المجتمعية الواعية.

2.الاستقلالية: شرط أساسي للتأثير

إن من أبرز الشروط لنجاح هذه المراكز هو تمتعها بالاستقلالية عن الأجهزة التنفيذية أو المؤسسات الحزبية. إذ أن ارتباطها بجهات حكومية أو سياسية يقلل من مصداقيتها ويضعف ثقة الجمهور بها. يشير *دليل بناء مراكز الفكر* الصادر عن مبادرة :*Atlas Network*

"إن استقلالية مراكز الفكر شرط أساسي لإنتاج معرفة موثوقة، وهي التي تمكّنها من بناء جسور الثقة مع المجتمع المدني وصناع القرار في آن واحد[2].

3.من الوظيفة البحثية إلى التأثير المجتمعي

لا تقتصر أهمية مراكز الفكر على الجانب الأكاديمي، بل تشمل قدرتها على التأثير في الوعي الجمعي وإنتاج خطاب نقدي وعملي في آنٍ واحد. يرى المفكر **الجابري** أن "الفكر العربي لا يمكن أن يتحول إلى قوة تغيير ما لم يُؤسس له إطار مؤسسي قادر على إدارة المعرفة وتوجيهها نحو قضايا المجتمع"[3].

وفي هذا السياق، يبرز الدور المزدوج الذي تلعبه هذه المراكز، فهي من جهة تقوم بتحليل الظواهر الاجتماعية والسياسية، ومن جهة أخرى تضع استراتيجيات بديلة توجّه السياسات العامة بطرق منهجية.

4.تجارب عربية رائدة

رغم التحديات السياسية والمالية، ظهرت في السنوات الأخيرة نماذج عربية واعدة لمراكز فكر مؤثرة، مثل المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في الدوحة، ومركز الأهرام للدراسات السياسية

([1]) مراكز التفكير والاستقلالية الفكرية، 2022 marocdroitcom
([2]) Build a Think Tank Think Tank Start-Up Manual Atlas Network, 2021, pp 13, 22 https://buildathinktankorg ص 13
([3]) محمد عابد الجابري: نقد العقل السياسي العربي، بيروت، 1992، ص105

والاستراتيجية في القاهرة، ومركز دراسات الوحدة العربية في بيروت. وقد أسهمت هذه المراكز في طرح مقاربات نقدية حديثة للقضايا القومية والاجتماعية، مثل المسألة الديمقراطية، والهوية، وتحولات الدولة الوطنية، وغيرها من المواضيع المتعلقة بالفكر القومي.

5.تحديات التفعيل والتمويل

تشير تقارير **buildathinktank.org** إلى أن من أبرز التحديات التي تواجه إنشاء مراكز الفكر في العالم العربي هي:

أ. ضعف التمويل المستدام.

ب. غياب البيئة القانونية الداعمة.

ج. نقص الكفاءات البحثية المتخصصة.

د. التدخلات السياسية التي تقوض الاستقلالية.

وللتغلب على هذه التحديات، يوصي التقرير بـ:" بناء شراكات مع مؤسسات المجتمع المدني والجامعات، وتنويع مصادر التمويل، والتركيز على نتائج ملموسة تبرز الأثر الاجتماعي والسياسي لأعمال المركز[1].

إن تفعيل دور النخب الفكرية في العالم العربي لا يمكن أن يتحقق دون بنية مؤسساتية داعمة، وعلى رأسها مراكز التفكير المستقلة. فهذه المراكز تمثل فضاءات حيوية لإنتاج معرفة نقدية، وتقديم حلول عملية قائمة على البيانات والتحليل، بما يُسهم في تجديد الفكر السياسي وتفعيل المشاركة المجتمعية. وإذا ما أُنشئت وفقًا لمعايير الاستقلالية والكفاءة، فإنها ستكون من أبرز أدوات التغيير الفكري والسياسي في العالم العربي.

6. الانخراط في وسائل الإعلام ومواقع التواصل لنشر الفكر القومي المتجدد

أصبحت وسائل الإعلام التقليدية والجديدة، وخصوصًا شبكات التواصل الاجتماعي، من أبرز الأدوات التي تمكّن النخب الفكرية من إيصال رؤاها إلى الجمهور، وبناء فضاءات جديدة للحوار والمناقشة حول قضايا الأمة، وهو ما يتيح فرصة لإعادة تقديم المشروع القومي العربي بصيغة متجددة تتفاعل مع المتغيرات المعاصرة.

([1])Build a Think Tank Think Tank Start-Up Manual Atlas Network, 2021, pp 13, 22
https://buildathinktankorg

تشير العديد من الدراسات إلى أن شبكات التواصل الاجتماعي مثل "فيسبوك" و"تويتر" و"يوتيوب" تمثل اليوم *المجال العام الجديد* الذي تنتقل فيه الأفكار، وتتكون فيه الاتجاهات العامة، وتُبلور فيه المواقف السياسية والاجتماعية. وفي هذا السياق، يوضح المفكر **مانويل كاستيلز (Manuel Castells)** في كتابه *شبكات الغضب والأمل* أن:" وسائل التواصل الاجتماعي ليست مجرد أدوات تكنولوجية، بل فضاءات بديلة تعيد تشكيل السلطة، وتمنح الأفراد القدرة على التأثير والتغيير بعيدًا عن الوسائط الرسمية[1].

من هذا المنطلق، فإن النخب الفكرية العربية مطالبة بالانخراط الواعي في هذه المنصات، ليس فقط لنشر الفكر القومي المتجدد، بل لإعادة بناء الوعي العربي الجماعي حول قضايا الهوية والسيادة والوحدة والمصير المشترك.

(أ) وسائل الإعلام: وساطة لا غنى عنها

تلعب وسائل الإعلام دور الوسيط الثقافي بين النخب والجمهور، وهو ما أكده **بورديو (Bourdieu)** حين أشار إلى أن:" وسائل الإعلام تنتج الواقع كما تقدّمه، أي أنها لا تعكس الواقع بل تُعيد صياغته وفقًا لمنظومات القوة والمعنى"[2]. وبذلك، يصبح استخدام الإعلام والنشر الرقمي من طرف النخب ضرورة استراتيجية لا فقط تكتيكية، من أجل استعادة المبادرة الخطابية، والتأثير في اتجاهات الرأي العام العربي، الذي ظل لعقود طويلة رهينة لخطابات متفرقة أو مفرغة من المحتوى التحرري.

دراسات عربية: دور الشبكات في بناء الرأي العام

أظهرت العديد من الدراسات الحديثة أن شبكات التواصل الاجتماعي باتت تلعب دورًا محوريًا في تشكيل الرأي العام في المجتمعات العربية، وذلك نتيجة لما توفره من مساحات تفاعلية مفتوحة وسريعة التأثير مقارنة بوسائل الإعلام التقليدية. فقد كشفت دراسة منشورة على موقع *marocdroit* (2022)[3]. أن النخب الفكرية أصبحت تفضل استخدام وسائل التواصل الاجتماعي لمتابعة الظواهر السياسية والاجتماعية، وهو ما يدل على تطور أدوات التفاعل الثقافي والسياسي لديها. وفي السياق ذاته، أشار تقرير مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية (2020) [4]. إلى تحوّل

([1]) Castells, Networks of Outrage and Hope, 2012, p 9
([2])On Television and Journalism, 1996
([3])marocdroitcom 2022,
([4]) مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية تقرير التحولات في الرأي العام العربي، القاهرة، 2020

واضح في أنماط التأثير الإعلامي، حيث لم تعد القنوات الفضائية والصحف الورقية قادرة وحدها على صياغة الرأي العام، إذ تحوّلت الحسابات الفردية للمثقفين والمؤثرين إلى "منابر فكرية موازية" تتفاعل بسرعة مع الأحداث الجارية.

وفي دراسة حديثة، تؤكد أبو زهرة (2024)[1] أن وسائل التواصل الاجتماعي أصبحت عنصرًا أساسيًا في تشكيل وعي الأفراد، خصوصًا خلال ثورات الربيع العربي، حيث ساهمت في تحريك الجماهير نحو أنماط سلوكية معينة. من جانب آخر، تناول الراشد (2021) [2] تأثير مواقع التواصل في الكويت، موضحًا أن تويتر شكّل المنصة الأبرز لمتابعة قضايا الفساد، حيث أكد 36.6% من المشاركين أن نظرتهم للحكومة تأثرت جراء متابعة تلك المنصات.

أما فيما يتعلق بقضايا تمكين المرأة، فقد بينت دراسة لمحمود (2023) [3] أن شبكات التواصل ساعدت النساء العربيات في تكوين آراء مستقلة والتعبير عنها بحرية أكبر. وفي مصر، أظهرت دراسة لعبد الهادي (2022) [4] أن 94.1% من المشاركين يتابعون أحداث الإرهاب الإلكتروني عبر مواقع التواصل، نظرًا لتمتعها بخاصية التفاعل المباشر وصدق المعلومات.

وفي قضية سد النهضة، أوضحت السعيد(2021) [5] أن مواقع التواصل أصبحت مصدرًا رئيسيًا للمعلومات أثناء الأزمات، وأسهمت في تشكيل وعي الجمهور المصري تجاه هذه القضية. كما كشفت دراسة الزعبي (2019) [6] أن الشباب الجامعي الأردني يعتمد على هذه الشبكات بشكل كبير في متابعة القضايا السياسية، مع تأثير معرفي ووجداني ملموس.

وفي السياق ذاته، أثبتت دراسة العتيبي (2021) [7] أن تويتر يؤثر في تشكيل اتجاهات الرأي العام حول تولي المرأة مناصب قيادية، وهو ما يشير إلى وجود وعي متزايد لدى المستخدمين. وفي سوريا، أشار قاسم وآخرون (2022) [8] إلى رضا طلبة جامعة تشرين عن دور مواقع التواصل في بلورة الأزمات وتوجيه الرأي العام، داعين إلى تعزيز الوعي المجتمعي لدى الشباب

---

(1) أبو زهرة، د دينا يحيا زكي، وسائل التواصل وتشكيل الوعي خلال الربيع العربي، 2024. ejsrtjournalsekbeg

(2) أبو زيد، هيام أنور أحمد دور مواقع التواصل الاجتماعي في تشكيل اتجاهات الشباب نحو بعض الأزمات السياسية المصرية researchasuedueg

(3) محمود، فريال محمود علي ، *تمكين المرأة العربية عبر شبكات التواصل*، 2023، ejscjournalsekbeg

(4) عبد الهادي، صبري خالد (2022) *الإرهاب الإلكتروني ومواقع التواصل، 2023* ejscjournalsekbeg

(5) السعيد، مروى، أزمة سد النهضة، 2021- ومواقع التواصل sjocsjournalsekbeg

(6) الزعبي، رضوان محمد، *الشباب الأردني والمشاركة السياسية، 2019، عبر التواصل الاجتماعي* قاعدة بيانات المنظومة Mandumah

(7) العتيبي، نوف خالد (2021) *تويتر والمناصب القيادية للمرأة* journalsajsrpcom

(8) قاسم، سامر أحمد وآخرون (2022) *مواقع التواصل والأزمات لدى طلبة جامعة تشرين* journalhoms-univedusy

أما على الساحة الفلسطينية، فقد أكدت دراسة المدهون (2016) [1] أن مواقع التواصل تسهم بشكل إيجابي في تعبئة الرأي العام لدعم الحقوق السياسية، خاصة من خلال تداول القضايا الوطنية. وفي السياق المصري مرة أخرى، ركزت أبو زيد على تحليل مضمون فيسبوك وأثره على اتجاهات الشباب نحو الأزمات السياسية، فيما أوضحت دراسة العساف (2017) [2] أن الشباب السعودي أظهر ارتفاعًا في وعيه السياسي تجاه القضايا العربية نتيجة متابعة هذه المنصات.

تشير هذه النتائج مجتمعة إلى تحول جوهري في أنماط تشكيل الرأي العام، حيث أصبحت شبكات التواصل الاجتماعي أدوات فعالة ومرنة، تتطلب من النخب والمثقفين تطوير استراتيجيات تواصلية تتماشى مع البيئة الرقمية المعاصرة.

(ب) النخب ومهارات التفاعل الرقمي

إن التحدي اليوم لا يتمثل فقط في استخدام هذه المنصات، بل في *حُسن توظيفها* لنشر أفكار عميقة بلغة جاذبة دون الوقوع في التبسيط المُخل أو الشعاراتية. وهو ما يعبّر عنه المفكر المغربي **العروي** حين قال:" المثقف الفاعل هو من يقرأ العصر بلغته، ويُعيد إنتاج الفكرة القومية في قالب يستوعب اللحظة"[3].

وبالتالي، فإن إعادة بناء الفكر القومي المتجدد تتطلب من النخب الجمع بين العمق المعرفي والمهارة الاتصالية، وبين الثوابت المبدئية والمرونة الاستراتيجية.

يُظهر هذا الطرح أن النخب الفكرية في العالم العربي تواجه اليوم مسؤولية مزدوجة: من جهة، ضرورة إنتاج خطاب معرفي عميق يستند إلى قراءة نقدية للواقع؛ ومن جهة أخرى، إتقان أدوات التفاعل الرقمي الحديثة التي باتت الوسيلة الأساسية للوصول إلى الجمهور، لا سيما فئة الشباب. فنجاح الخطاب القومي المتجدد لا يكمن فقط في أصالته الفكرية، بل أيضًا في قدرته على الوصول والتأثير، وهو ما يستدعي لغة إعلامية تتسم بالبساطة دون ابتذال، وبالجاذبية دون تسطيح. وكما أشار العروي، فإن المثقف الحقيقي هو من يلتقط نبض العصر، ويعيد صياغة الأفكار الكبرى في سياق حديث وفعّال.

([1]) المدهون، محمد إبراهيم، & المدهون، عبد الله جمعة (2016) ***التعبئة السياسية الفلسطينية عبر مواقع التواصل*** **journalsiugazaedups**

([2]) العساف، عبد الله بن عبد المحسن (2017) ***الوعي السياسي لدى الشباب السعودي*** **ejsrtjournalsekbeg**

([3]) عبدالله العروي، مفهوم المثقف، ص 76

ومن هنا، يصبح الاستثمار في المهارات الاتصالية للنخب ضرورة لا تقل أهمية عن إنتاج المعرفة ذاتها.

(ج) آفاق العمل الإعلامي القومي

إن الانخراط في هذه المنصات لا يعني الانصهار في خطابها السائد، بل يتطلب إعادة إنتاج المحتوى القومي بشكل نقدي وابتكاري، يراعي تطلعات الأجيال الجديدة، ويقدم بدائل عقلانية في مواجهة الخطابات الطائفية، والانعزالية، والتطبيعية، التي تغزو الفضاء الإعلامي العربي [1].

ومن هنا تظهر الحاجة إلى دعم المبادرات الإعلامية المستقلة، وإنشاء مؤسسات ثقافية وفكرية غير ربحية تستثمر الفضاء الرقمي من أجل صناعة رأي عام ناضج، وإحياء المشروع النهضوي العربي بروح جديدة [2].

إن الإعلام ومواقع التواصل لم تعد حكرًا على السلطة أو رأس المال، بل أصبحت أدوات مرنة في يد النخبة الواعية القادرة على تحويل الكلمة إلى موقف، والفكرة إلى تأثير"[3]. ومن هنا، فإن تفعيل النخبة الفكرية العربية يمرّ حتماً عبر التحكم الذكي بهذه الوسائط، وإعادة صياغة الخطاب القومي بما يجمع بين التراث والنقد، وبين الواقع والطموح.

7. المساهمة في إعداد مناهج تعليمية جديدة تعزز الانتماء القومي الواعي

تضطلع النخب الفكرية بدور استراتيجي في صياغة مناهج تعليمية تواكب المتغيرات الاجتماعية والسياسية، وتسهم في بناء وعي قومي مستنير ومتوازن. فالمناهج التعليمية ليست مجرد أدوات لنقل المعرفة، بل تُعد وسائل لإعادة إنتاج الهوية الوطنية وترسيخ قيم المواطنة. يشير الدكتور **عبد الله إبراهيم*** إلى أن "المناهج التعليمية تُشكل الوعي الجمعي، وتُسهم في توجيه السلوك الاجتماعي والسياسي للأفراد، ولا يمكن الحديث عن نهضة فكرية أو اجتماعية دون إصلاح جذري في محتوى هذه المناهج" [4].

وفي هذا السياق، تؤكد الدراسات الحديثة على أهمية إعادة هيكلة المناهج لتشمل مفاهيم الانتماء القومي الواعي، بحيث لا يُفهم هذا الانتماء على أساس عرقي أو مذهبي ضيق، بل كهوية

---

(1) هبرماس، يورغن الفضاء العمومي: دراسة في فئة من مجتمع برجوازي تر/ محمد وقيدي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998 ص89-94

(2) الطيب تيزيني من ثلاثية الفساد إلى قضايا النهضة دار دمشق، 2005 ، ص 45-48

(3) فهمي الهويدي: الإعلام والمجتمع دار الشروق، القاهرة، 2002 ص71-75

*** عبد الله إبراهيم (1957) مفكر وأستاذ جامعي من العراق متخصّص في الدراسات السردية والثقافية، أصدر 22 كتابا وأكثر من 40 بحثا علميا في كبريات المجلات العربية**

(4) عبدالله إبراهيم : مناهج البحث في العلوم الإنسانية بيروت: المركز الثقافي العربي، 2010 ، ص233

ثقافية شاملة ترتكز على القيم الإنسانية والمشتركات الحضارية. وفي هذا الإطار، يؤكد الباحث نزار شوقي أن "الانتماء القومي الواعي يتطلب تجديدًا في الخطاب التعليمي ليعكس تعددية الهوية، ويُدرّب الطلاب على قبول الاختلاف واحترام التنوع الثقافي"[1].

وتزداد أهمية هذا التوجه في ظل التحديات التي تواجه المجتمعات العربية، لا سيما في منطقة الخليج، حيث تنوّه تقارير تربوية إلى أن المناهج الحالية بحاجة إلى مراجعة نقدية، لا سيما فيما يتعلق بتقديم التراث الإسلامي. فبدلاً من تغليب الرواية المذهبية أو الأحادية، ينبغي – كما يقترح تقرير مركز الخليج للدراسات التربوية – "تقديم التراث الإسلامي بطريقة تفصل بين النص والاجتهاد، وتُبرز تعددية الفهم الإسلامي، بما يسهم في بناء وعي ديني وقومي متوازن" [2].

كما يدعو **الجابري** إلى "ضرورة تجاوز الطابع التلقيني للمناهج، واستبداله بمقاربات نقدية تُنمّي التفكير الحر، وتحفّز المتعلم على الانخراط الواعي في قضايا الأمة"[3]. فترسيخ الانتماء القومي، حسب الجابري، لا يتم إلا من خلال تربية نقدية تُكسب المتعلم قدرة على التمييز بين الثوابت والمتغيرات، وتُعزز من حسه التاريخي والمعرفي. ومن جهة أخرى، فإن النخب الفكرية مطالبة اليوم بالمساهمة الفاعلة في تطوير المحتوى التعليمي، ليس فقط من حيث المضامين، بل أيضًا من حيث المنهجية، من خلال إدماج تقنيات التفكير النقدي، والتاريخ المقارن، والنصوص متعددة المصادر، بما يُنتج عقلاً تحليليًا يعي موقعه داخل الأمة، ويدرك علاقته بسياقه المحلي والعالمي.

وأخيرا، يتبين من هذا الفصل أن تجديد الفكر القومي العربي لم يعد خيارًا نظريًا أو رفاهًا فكريًا، بل ضرورة تاريخية تفرضها طبيعة التحولات البنيوية التي يشهدها الواقع العربي والعالمي على حد سواء. فقد أظهرت المباحث الثلاثة أن الفكر القومي، في صيغته التقليدية، بات عاجزًا عن مواكبة تطلعات الشعوب العربية، وعن الاستجابة الفاعلة للتحديات المعقدة التي أفرزتها العولمة، والانقسامات الداخلية، وتراجع دور الدولة الوطنية، ناهيك عن الانفصال المتزايد بين الخطاب القومي والنخب من جهة، والواقع الشعبي من جهة أخرى.

(1) نزار شوقي: إصلاح التعليم وبناء الدولة الحديثة في الوطن العربي القاهرة: دار رؤية، 2018 ص122
(2) مركز الخليج للدراسات التربوية تقرير حول إصلاح المناهج في دول مجلس التعاون الرياض: المركز، 2020 ص45
(3) محمد عابد الجابري: المسألة الثقافية ص212

إن استشراف مستقبل الفكر القومي العربي يقتضي الانتقال من مرحلة الانغلاق الإيديولوجي والحنين العاطفي إلى الماضي، نحو مرحلة التفكير العقلاني الواقعي، الذي يعترف بالتعدد، ويقبل بالاختلاف، ويؤسس لمشروع قومي مرن، يستند إلى أسس مدنية حديثة، لا إلى شعارات تجاوزها الزمن. فالفكر القومي المتجدد ينبغي أن يدمج بين الهوية والانتماء، وبين المواطنة والديمقراطية، وأن يسعى إلى تحقيق التكامل الثقافي والاجتماعي، دون الوقوع في فخ الشمولية أو الإقصاء.

ولعلّ من أهم التوصيات المنهجية والعملية التي يمكن استخلاصها من هذا الفصل:

1. **إعادة قراءة التراث القومي بمنهج نقدي تأويلي** يسمح بتجاوز النزعات التمجيدية ويعيد ربطه بالسياق التاريخي والإنساني.
2. **التحول من الخطاب الأيديولوجي المغلق إلى خطاب عقلاني تواصلي** قادر على بناء الجسور بين التيارات الفكرية المختلفة.
3. **الانفتاح على التجارب القومية الأخرى** والاستفادة من دروسها في بناء مشروع عربي نهضوي جامع.
4. **تفعيل دور النخب الفكرية** من خلال إنتاج معرفة عملية مرتبطة بقضايا الواقع، وتعزيز حضورها في المجال العام عبر الإعلام والتعليم والبحث العلمي.
5. **التركيز على الشباب بوصفهم الفاعل الرئيسي في المستقبل القومي**، وذلك عبر تعزيز مشاركتهم في العمل السياسي والثقافي وصياغة السياسات العامة.

في ضوء ما تقدم، يتعين على المشروع القومي العربي أن يعيد تأسيس ذاته من خلال التجدد المستمر، والتفاعل الإيجابي مع التحولات الراهنة، والتخلي عن الصيغ الجامدة التي أفرغت الخطاب القومي من حيويته. وحده الفكر القومي المتجدد القادر على أن يكون أداة فعل تاريخي، لا مجرد خطاب رمزي يتلاشى مع الزمن.

الخاتمة:

في ضوء ما تقدم، يتضح أن تجديد المشروع القومي العربي لم يعد خيارًا فكريًا أو تنظيريًا فحسب، بل ضرورة تاريخية تمليها تحولات الواقع العربي المعاصر، وتحدياته المتشابكة على المستويات السياسية والاجتماعية والثقافية. وقد كشف هذا البحث عن أزمة بنيوية تعاني منها النخب الفكرية التقليدية، التي انكفأت على ذاتها، وانشغلت بخلافات نظرية معزولة عن هموم المواطن العربي، مما أدى إلى تآكل حضورها في الفضاء العام، وتراجع تأثيرها في صياغة السياسات والرؤى المستقبلية.

إن تجاوز هذه الأزمة يتطلب إعادة تعريف دور النخب الفكرية بوصفها قوة اقتراحية وتغييرية، قادرة على إنتاج خطاب قومي جديد يتسم بالمرونة، والانفتاح، والقدرة على التفاعل مع معطيات العصر، من عولمة وثورة رقمية، وتطورات في مفاهيم المواطنة وحقوق الإنسان. ويقتضي ذلك إعادة صياغة المفاهيم المركزية للفكر القومي، كالأمة والهوية والوحدة، بما يراعي التعددية الثقافية والسياسية داخل المجتمعات العربية، ويؤسس لمشروع قومي جامع لا يقصي الآخر، بل يحتضنه ضمن رؤية وحدوية متجددة.

لقد اقترح البحث مجموعة من الآليات العملية لتفعيل دور النخب، أبرزها إنشاء مراكز بحث مستقلة تضمن حرية التفكير والإنتاج المعرفي، والانخراط الفاعل في الإعلام الرقمي كمنصة للتأثير والتواصل مع الأجيال الجديدة، والمساهمة في تطوير مناهج تعليمية تعزز الانتماء القومي الواعي بعيدًا عن التلقين والشعارات. كما شدد على أهمية بناء شبكات فكرية عابرة للحدود القُطرية، تتيح تبادل الخبرات وتنسيق الجهود بين المفكرين العرب، بما يعزز من فرص بلورة مشروع قومي عربي متكامل.

وفي هذا السياق، لا يمكن إغفال التحديات البنيوية والتمويلية التي تواجه النخب، والتي تتطلب إرادة سياسية داعمة، وبيئة مؤسسية حاضنة، تُمكّن الفكر القومي من استعادة دوره الريادي في توجيه بوصلة الأمة نحو مستقبل أكثر وحدة وعدالة واستقلالًا. إن النخب الفكرية، إذا ما استعادت ثقتها بذاتها، وانخرطت في قضايا الواقع، وتجاوزت الانقسامات الأيديولوجية، قادرة على أن تكون رافعة حقيقية لمشروع قومي عربي متجدد، يستلهم من الماضي دروسه، ويصوغ للمستقبل رؤاه، ويعيد للأمة العربية مكانتها الحضارية والإنسانية في عالم متغير.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: **المراجع**

1. سعيد، إدوارد، المثقف والسلطة، ترجمة: محمد عناني، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2006.
2. غليون، برهان، اغتيال العقل، نقد الفكر العربي في عصر العولمة .بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2010.
3. غليون، برهان، بيان من أجل الديمقراطية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997.
4. طرابيشي، جورج، هرطقات: عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة، ج2، بيروت: دار الساقي، 2010.
5. السيد، رضوان، سياسات الإسلام المعاصر: مراجعات ومتابعات، بيروت: دار الكتاب العربي، 1997.
6. تيزيني، الطيب، من ثلاثية الفساد إلى قضايا النهضة، دمشق: دار دمشق، 2005.
7. بلقزيز، عبدالآله، الدولة والمجتمع في الوطن العربي: تحولات الواقع وإشكاليات النظر، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 2010.
8. بلقزيز، عبد الإله بلقزيز: والديمقراطية: إشكاليات العلاقة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2001.
9. بلقزيز، عبدالآله، من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث، 2000.
10. شعبان، عبد الحسين، الهوية والمواطنة: البدائل الملتبسة والحداثة المتعثرة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2017.
11. إبراهيم، عبدالله، مناهج البحث في العلوم الإنسانية، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2010.
12. العروي، عبدالله، مفهوم الدولة، الدار اتلبيضاء: المركز الثقافي المغربي، ط8، 2006.
13. العروي، عبدالله، مفهوم المثقف، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي. 1995م.
14. بشارة، عزمي، الهوية والمواطنة في الدولة الحديثة، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012.

15. بشارة، عزمي، في المسألة العربية، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012.
16. هويدي، فهمي، الإعلام والمجتمع، القاهرة: دار الشروق، 2002.
17. عبد الشيخ، محمد حسن، القومية العربية وعصر العولمة، مجلة حوليات كلية الآداب جامعة عدن، العدد()، 2016. عدن.
18. الجابري، محمد عابد، التراث والحداثة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991.
19. الجابري، محمد عابد، المسألة الثقافية، مركز دراسات الوحدة العربية، 1994.
20. الجابري، محمد عابد، الهوية والعولمة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006.
21. الجابري، محمد عابد، نقد العقل السياسي العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1992.
22. عامل، مهدي، مقدمات نظرية لدراسة أثر الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الوطني، بيروت: دار الفارابي، ط6، 1990.
23. نصار، ناصيف، تصورات الأمة المعاصرة: دراسة تحليلية لمفاهيم الأمة في الفكر العربي الحديث والمعاصر، بيروت: دار أمواج للطباعة والنشر، ط2، 1994.
24. نصار، ناصيف، مفهوم الأمة بين الدين والتاريخ: دراسة في مدلول الأمة في التراث العربي الإسلامي، بيروت: المركز الثقافي العربي، ط5، 2003.
25. شوقي، نزار، إصلاح التعليم وبناء الدولة الحديثة في الوطن العربي، القاهرة: دار رؤية، 2018.
26. هبرماس، يورغن، الفضاء العمومي: دراسة في فئة من مجتمع برجوازي، تر: محمد وقيدي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998.
27. فازيو، نبيل، "مفهوم الأمة عند ناصيف نصار"، مجلة المستقبل العربي، العدد 450، أغسطس 2016.

ثانياً: مقالات ودراسات دوريات علمية

1. زكي، دينا يحيا، "وسائل التواصل وتشكيل الوعي خلال الربيع العربي"، ejsrt.journals.ekb.eg، 2024.

2. أبو زيد، هيام أنور أحمد، "دور مواقع التواصل الاجتماعي في تشكيل اتجاهات الشباب نحو بعض الأزمات السياسية المصرية"، research.asu.edu.eg، بدون تاريخ.

3. محمود علي، فريال، "تمكين المرأة العربية عبر شبكات التواصل"، ejsc.journals.ekb.eg، 2023.

4. عبد الهادي، صبري خالد، "الإرهاب الإلكتروني ومواقع التواصل"، ejsc.journals.ekb.eg، 2022.

5. السعيد، مروى، "أزمة سد النهضة ومواقع التواصل"، sjocs.journals.ekb.eg، 2021.

6. الزعبي، رضوان محمد، الشباب الأردني والمشاركة السياسية عبر التواصل الاجتماعي". قاعدة بيانات المنظومةMandumah ، 2019.

7. العتيبي، نوف خالد، "تويتر والمناصب القيادية للمرأة"، journals.ajsrp.com، 2021.

8. قاسم، سامر أحمد، وآخرون، "مواقع التواصل والأزمات لدى طلبة جامعة تشرين"، journal.homs-univ.edu.sy، 2022.

9. المدهون، محمد إبراهيم، المدهون، وعبد الله جمعة، "التعبئة السياسية الفلسطينية عبر مواقع التواصل"، journals.iugaza.edu.ps، 2016.

10. العساف، عبد الله، الوعي السياسي لدى الشباب السعودي، ejsrt.journals.ekb.eg، **2017**.

ثالثاً: تقارير ومراكز دراسات

38. مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، إمكانية إحياء الفكر القومي العربي كمشروع نهضوي، الرياض، 2025.

39. مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، الفكر القومي العربي في القرن الحادي والعشرين، الرياض، 2025.

40. مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، تقرير التحولات في الرأي العام العربي، القاهرة، 2020.

41. مركز الخليج للدراسات التربوية، تقرير حول إصلاح المناهج في دول مجلس التعاون، الرياض، 2020.

42. مراكز التفكير والاستقلالية الفكرية، المغرب، 2022. marocdroit.com